١٧- الحصاد المر

في مساء اليوم التالي للحادثة حضر "سرحان الأعسر" إلى "فاتن" في منزلها، كي يحصد من مفاتن جسدها ثمن نذالته، وعندما هبطت إليه من الدور العلوي كي تقابله، كانت كاشفة ذراعيها، وترتدي فستانًا شفافًا، تظهر من أسفله ملابسها الداخلية بوضوح تام، نهض يستقبلها والرغبة تشتعل في جوارحه، وبعد أن فقد السيطرة على نفسه، ضاعت منه الكلمات المرتبة، في البداية فاتحها في موضوع الزواج، ولكنها أخبرته أن عدة زوجها لم تنته بعد، وحتى ترضيه استقبلته في غرفة نومها، تكافئه على فعلته الشنيعة، فصعد الباغي بصحبتها فوق سرير الرجل الذي حرقه بالأمس كي يحل محله، وسلمته الفاجرة نفسها الخبيثة، وجسدها الملوث بالخطايا، فبات يعبث بهما كيفما يشاء، ومرت ساعات وهما يرتشفان من الرغبة المحرمة، كما يرتشف المعتوه الخمور المعتقة في الدماء، كلاهما تبلدت لديه الأحاسيس تمامًا، وكانا كخنزيرين يلتحف كلاهما بالآخر.

انهمكا يغوصان في نهر الوحل والخطيئة، لا يأبهان بمرارة الخيانة، لأنهما لم يتذوقا غيرها من قبل، وفي نشوة الوهم، طلبت منه العاهرة بأن يعد خطة جديدة لحرق منحل العسل المملوك لـ"غريب"، ولا ينفذها إلّا بإشارة منها، وعدها بالسمع والطاعة، وهبط من عندها قرب الفجر، يجر أذيال الخسة بين قدميه، حتى إن الملابس فوق جسده كادت أن تلفظه، والأرض من تحت قدميه تمنت أن تبتلعه، كي تخلص البشر من شروره.

شاهده "الخفراء" وهو يخرج من منزلها متلصصًا كفأر مذعور، فطارت أخبار فجُورها في الصباح فوق ألسنة الناس الذين تأففوا من رائحتها العفنة،

وقلة حيائها. كانت خطة الماجنة أن ينصاع لها الفتى "غريب"عنوة، أو أن تدمره، فلا يجد بديلاً إلّا بطاعتها، كانت مستعدة لسحق كل قيمة مقابل نيل نزوته منها.

خرج معظم أهل القرية يطهرون المزرعة من الجثث، ونقلوا المواشي النافقة إلى المحرقة، حتى لا تتعفن، وتلوث البلدة بالميكروبات أو بما ينبعث منها من روائح كريهة، لقد وحدت هذه الأزمة الجميع، وأصبح الكل يسعى نحو معرفة من هو الجاني الحقيقي، كي يتم إنزال أشد العقاب عليه. وتولى "سيف جاد" مهمة جمع المعلومات للوصول إلى الحقيقة.

وبعد أيام من تطهير المزرعة ذهب "غريب" إليها حزينًا لعله يستطيع إعادتها للعمل من جديد، ولكنه قرر بذل كل ما بوسعه لمعرفة الجاني قبل التفكير في تدبير الأموال اللازمة لشراء مواشي جديدة، لأن المجرم ربما يكرر فعلته مرة أخرى، فيتبدد الجهد والمال، كان يشك في الفاجرة "فاتن" شكًا كبيرًا، وخاصة بعدما لفظها عندما جاءته تطلب منه قضاء سهرة ساخنة، بيد أنه فضل الصمت إلى حين الإمساك بالدليل.

وبعد منتصف النهار ذهبت إليه "رجاء" في المزرعة كي تواسيه، كانت بجواره كالوردة "الدمشقية"، أو كما يطلقون عليها الوردة "الجورية"، مظهرها يوحي بالأمل، والثقة بالنفس والسكينة، وعمق التأمل، فبدت بجواره كأنها أيقونة من الأمل ترمز إلى مفاهيم الحب، والعواطف الصادقة، عندما تتحدث تتدفق مشاعر النبل من ثغرها، كأنها قنينة من العطور النفيسة، رائحتها تفوح بالنعومة والعذوبة، وجودها خفف عنه هول الصدمة، فراحت تداعبه:

- رجاء: إياك أن تنسى موعد الزفاف بسبب ماحدث.

- غريب:(مبتسماً بوهن) لم أنسه، ولكني محبط.

- رجاء: لا تستسلم لليأس، سوف ننجح معا في قهر جحافل الشر.

- غريب: منذ فجر التاريخ يا حبيبتي، والشر يقهر الأبرياء ظلمًا وعدوانًا، لا يردعه النصح، أو حسن الخلق، ولا يعترف بقيم التسامح، ولذا تلح عليّ

فكرة مجنونة، ولأول مرة أفكر في الانتقام، ومواجهة الشر بالشر، هذا العالم الغريب رغم ادعائه التحضر، يقف على حافة الظلم، تحركه أيادي الغدر في أحيان كثيرة.

- رجاء: صدقت، ولكن عليك بالتريث، سوف نقهر الأوغاد بالعقل والحكمة، حبيبي لا تجعل الغضب يجذبك نحو التهور، فخيوط الجريمة واضحة، وفيما يبدو أن العاهرة أوعزت لـ"سرحان الأعسر" بتدمير المزرعة، ردًا على تجاهلك لنزوتها، وقد شاهده أهل القرية بالأمس يدخل بيتها منذ الغروب، ولم يخرج إلّا قُبيل الفجر.

- غريب: أنا على ثقة أنه قبض ثمن فعلته الخسيسة بالأمس، ولكن ما ينقصنا هو البرهان الدامغ.

- رجاء: سوف نعثر عليه، لا توجد جريمة كاملة، سيسقطون بغيهم كما يسقط الذباب تحت الأحذية، لأن الغرور قد تملكهم، والمغرور يُذبح دائما بالكبر، وعما قريب سيحدث ذلك.

أراح كلام "رجاء" قلب الفتى، واستعاد جزءًا من ثقته بنفسه، وراح يداعبها بمعسول الكلام، ففرحت بتلك المداعبة، لأنها أخرجته من الحالة السيئة التي انتابته منذ أسبوع، كانت تُخضعه بلين القول، وتتعمد مغازلته برقة ونعومة، وتطير فرحًا مع مخاض كل بسمة تعلو فوق جبينه، تعمدت أن تزرع الأمل من جديد في صدره، ولم تتركه حتى ردت روحه الطيبة إليه، وبعد أن اطمأنت عليه تركته، وعادت إلى منزلها، فجلس يفكر بعقله في فك هذه المعضلة، وكشف هوية الجاني.

كانت "فاتن" تتلصص عليهما بعيونها من ثقب بشباك الشرفة المجاورة التى تطل علي المزرعة، وعندما لمحتها معه، حُن جنونها، واشتعلت فيها نيران

الغيرة الحمقاء، فوضعت أصابعها في فمها تقرض أظافرها من شدة التوتر، كانت الهمسات بين الحبيبين تشعل في أحشائها النار، كانت تود أن تسمع ما يقولان، لكن دون جدوى لبعد المسافة، ولكنها فهمت من هيئتهما أنهما جد سعيدين، ومنسجمين، فقدت توازنها وعقلها، وقررت أن تهبط إليه مرة أخرى لعلها تغريه بنفسها ومالها، أو تنذره بضياع كل ثروته فيستجيب لها.

بعد أن كست خيوط الظلام المكان، هبطت ودخلت المزرعة حتى وصلت مكتبه، وألقت عليه السلام، فلم يرد، فغضبت أكثر:

- فاتن: لماذا تتجاهلني هكذا؟

- غريب:(دون أن يلتفت نحوها) ماذا تريدين مني؟

- فاتن: أريدك أنت، مازلت راغبة فيك (بتوسل) المزرعة خالية، ولا يوجد

- هنا سوانا، تعالى بجواري، وضع رأسك فوق صدري، هيا اقترب أخلع ملابسك، واعبث بجسدي كيفما تشاء، أنا مشتاقة لحضنك، حتى لو كان هذا الحضن هو الحضن الأخير في حياتي، أرجوك اقترب وضمني نحوك، وقبلني بشدة.

- غريب: أنا لا أستطيع خيانة حبيبتي رجاء مهما حدث.

- فاتن :(بإغراء) سوف أشتري لك مواشي بدلاً من التي ماتت.

-غريب: ترسلي من يقتلها بالأمس، وتشتريها لي اليوم؟ لماذا؟

-فاتن : كانت قرصة أذن، وإن لم تستجب سوف أحرق المنحل.

-غريب: هذا جنون!

- فاتن: أنا أحبك .

- غريب:(بدهشة) أنتِ كاذبة، كيف تحبيني وكنت بالأمس في حضن رجل آخر.

فاتن: تقصد "سرحان الأعسر"

غريب: نعم أقصد ذلك الوغد الذي سمم المواشي.

فاتن: لن أقابله مرة أخرى، ولن أجعله يؤذيك ثانية، فقط تعالى، اقترب

مني لنقضي هذه الوقت نقترف من لذة الغرام ما نشاء، وحتى الصباح.

اقترب "غريب" منها ببطئ يومئ رأسه، وعندما وصل إليها، استجمع كل غيظه وهوى على وجهها بصفعة تلو أخرى فصرخت، وسقطت على الأرض من شدة الصفعات، جذبها من شعرها يجرها على الأرض نحو بوابة المزرعة ودفعها نحو الخارج، فنهضت تبكي تتوعده بشر مستطير.

عادت إلى منزلها ترتجف ومذعورة، وبعد أن فقدت القدرة على التفكير، راحت تتخبط بينها وبين نفسها، بأن تفكر في الشيئ ونقيضه في ذات اللحظة، فلم يضربها أحد من قبل، ولم تشعر بحقيقتها الوضيعة، وضآلة قدرها سوى اليوم، ضربتها الحيرة، واجتاحتها رغبة جامحة في الانتقام، لقد توهمت أن غريمتها في هذه المرة هي "رجاء"، لأنها من تحول بينها وبين "غريب"، ولذا باتت تفكر في الخلاص منها، فأخذت تفكر في قتلها، كي تشفي مرارة الغيرة التي تملأ صدرها، ولكن هل ستنجح في ارتكاب ذلك الجرم الخطير؟.